

المحاضرة ٤

التقوى مشروع لإدارة المجتمع

علي رضا بناهيان



بيان مجتمعي
Panahian.net

الموضوع: التقوى مشروع لإدارة المجتمع
المكان: حسينية آيت الله حقشناس
الزمان: ٠٣/محرم/١٤٣٩ – ٢٤/أيلول/٢٠١٧

آدميتك أهم عند الله تعالى من عبادتك! فلسفة آيات المعاد هي: "أيها الإنسان، لا تكون النتائج الآنية هي الباعث على تحفيزك!" التقوى تنقذ الإنسان من الانزلاق في المنحى النتائجي، وعندها ستكون "الشجاعة" إحدى الصفات الجيدة التي تظهر فيه. يخاف الناس بمقدار حبههم للنتائج الدنيوية؛ فيخافون الفشل في تحقيق هذه النتائج أو عدم التمكن من حفظها. إنك إن عملت لا خوفًا من الفقر فسيغدو العمل لك تسليّة وستزدهر وتُبدع.

من المواضيع الأساسية التي تتناولها العلوم الإنسانية هو طريقة انبعاث الدافع في الإنسان. وتقدم التقوى لك نموذجًا خاصًا لانبعاث الدافع قلّمًا تلاحظ فيه أسلوب "الثواب والعقاب الآنيين". ربّع آيات القرآن الكريم يبحث موضوع المعاد، وإن فلسفة آيات المعاد هي: "أيها الإنسان، لا تكون النتائج الآنية هي الباعث على تحفيزك!" وإلا فليس بعزيز على الله تعالى أن يضع الجنة والنار أمام أعيننا! ولو فعل هذا فمن الطبيعي أن يمثّل الجميع أوامره وينتهون عن المعاصي، لكنه تعالى لم يفعل ذلك. قد يخاطب البعض ربه قائلًا: "إلهي، إنك حين تؤخر الجنة والنار كل هذا التأخير فمن الطبيعي أن لا نعبدك!" فيقول الله عز وجل: "لا بأس، فإنّ آدميتك أهم عندي من عبادتك!" انظر كم يعاملنا الله تعالى باحترام! يقول لنا: "لا أريدك أن تكون غير آدمي، ثم تسجد لي باستمرار! فالملخوقات الأخرى تسجد لي صباح مساء. فلقد أردت أن تكون آدميًا.. وأن تكون آدميًا يعني أن تكون مستقلًا؛ أي أن لا يُثار فيك الدافع لفعل الخير طمعًا في النتائج الآنية، بل أن تكون أنت". إن من خصوصيات التقوى هي أنها لا تربي

الإنسان على المنحى النتائجي.. إنها تزيل النتائج من بين يديك. [تقول لك]: ”افعل الخير وارمه في البحر“، فما شأنك أنت بالنتائج؟! وحين تتخلص من ”المنحى النتائجي“ ستتخذ ”منحى التكليف“. وهنا سيبدأ للتو مضمار مبادلة الله الحب وتكوين علاقةٍ معه. أتعلم كيف يتعامل الله تعالى معنا؟ إنه لا يثيبنا أو يعاقبنا بشكل آنيّ وملموس. وإنه من هذا المنطلق يعترض الله تعالى على ابن آدم بأنه: ”لماذا تقول كلما واجهت مشكلة: لقد أهانني الله؟“ «وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ» (الفجر/ الآية ١٦)، وإن فُرِّجَ عنك أو نلت نعمة قلت: لقد أكرمني الله؛ «..فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ» (الفجر/ الآية ١٥). يقول الله لك: ”ما دخل الضيق والنعمة بإهانتني وإكرامي؟! ألا إنني لستُ من مُمارسي أسلوب الثواب والعقاب الآتيين لبعث الدافع فيك، إن نهجي هو التقوى!“ يقول تعالى في كتابه العزيز: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» (الطلاق/ الآيتان ٢ و٣). فانتهج أنت نهج التقوى واتكل في ما بقي من الأمر عليّ أنا، لا على نفسك، وحساباتك، ونتائجك التي جنيتها؟! فهاتان الآيتان الكريمتان تسحب من تحت قدمي الإنسان بساط المنحى النتائجي. فإن حيلَ بين الإنسان وبين المنحى النتائجي تظهر فيه واحدة من أفضل الصفات، ألا وهي ”الشجاعة“. فالمتعلقون ببعض النتائج الدنيوية والمحبون لها يصيبهم الخوف بمقدار حبههم لهذه النتائج. أين مكمّن خوفهم؟ إنهم يخافون الفشل في تحقيق هذه النتائج، أو عدم التمكّن من حفظها، أو التفريط ببعضها،... الخ، وهكذا يمتلئ كيان الإنسان خوفًا!

في زمن الظهور سيحكم صاحبُ الزمان (عج) الأمة على أُسس من التقوى، وعندها لن يعمل امرؤ خشية الفاقة، ذلك أن الناس تعلم أن الإمام (ع) سيُعِين من يفتقر. ولن يُوجِر أحدٌ نفسه خوفاً من الفقر، بل يتجر لنفسه ويجازف وهو يعلم أن من يخسر يجبر الإمام (ع) كسره. فهذا رسول الله (ص) يُطمئن الناس بأن من يخسر فأنا النبي صاحب ماله وأنا من أضمن له التعويض؛ «عن أبي عبد الله (ع) أن النبي (ص) قال: أنا أُولَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ وَعَلَيَّ أُولَى بِهِ مِنْ بَعْدِي. فَقِيلَ لَهُ: مَا مَعْنَى ذَلِكَ؟ فَقَالَ: قَوْلُ النَّبِيِّ (ص): مَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا فَعَلَيَّْ» (الكافي / ج ١ / ص ٤٠٦). فلا يعملن أحدٌ خوفاً، كونوا أحراراً، كونوا أنتم أنفسكم. هلموا واكشفوا عن إبداعاتكم، وفجروا طاقاتكم، ولا تخشوا أحدًا. ما هو أسلوب إبليس؟ إنه - بحسب القرآن الكريم - يُخيف الناس دومًا من الفقر: «الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ» (البقرة / الآية ٢٦٨). أما التقوى فتقول: «ما شأنك بالنتائج؟!» إنها لا تعدك بأنها ستغنيك، بل تقول لك: «لا تخف من الفقر، ولا تفكر في النتائج!» فإنك إن عملت لا خوفاً من الفقر فسيغدو العمل لك تسليّة وستزدهر وتُبدع.